تفسير إبن كثير

قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(قل من بيده ملكوت كل شيء) أي : بيده الملك ، (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) [هود : 56] ، أي : متصرف فيها . وكان رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " لا والذي نفسي بيده " ، وكان إذا اجتهد في اليمين قال : " لا ومقلب القلوب " ، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف ، (وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون) كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا ، لا يخفر في جواره ، وليس لمن دونه أن يجير عليه ، لئلا يفتات عليه ، ولهذا قال االله : (وهو يجير ولا يجار عليه) أي : وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ، ولا معقب لحكمه ، الذي لا يمانع ولا يخالف ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقال االله : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) [الأنبياء : 23] ، أي : لا يسئل عما يفعل; لعظمته وكبريائه ، وقهره وغلبته ، وعزته وحكمته ، والخلق كلهم يسألون عن أعمالهم ، كما قال تعالى : (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) [الحجر : 92 ، 93] .